أبو الوليد حسان بن المصيصي
شاعر الدولة العبادية في أشبيلية (٤١٤ – ٤٨٤ هـ) –دراسة وتوثيق–

Abu Al-Waleed Hassan bin Al-Musaysi
Poet of the Abadi state in Seville (414 - 484 A.H.)
Study and documentation

د. ياسر رشيد حمد
جامعة تكريت – كلية الآداب
د. ياسر فواز أحمد سالم
المديرية العامة لتربية الأنبار

Dr. Yasser Rashid Hamad
Tikrit University - College of Arts
Dr. Yasser Fawaz Ahmed Salem
General Directorate of Education Anbar

yasr2015yasr @gmail.com

تاريخ الاستلام ٢٠٢١/٧/١٣ **تاريخ القبول** ٢٠٢١/٨/١

الكلمات المفتاحية: الدولة العبادية – أشبيلية– الأندلس

Keywords: Abadi state - Seville - Andalusia

الملخص

يهدف البحث إلى جمع ما تبقى من شعر الشاعر المصيصي وتوثيق أهم المراحل التي مرَّ بها والكشف عن أهم موضوعات قصائده، ويسير البحث على المنهجين : الوصف والتحليل، إذ يصف الباحثان نبذة عن الدولة العبادية وأهم أعلامها وما مرَّ بها من مهمات الأحداث، وأهم محطات الشاعر وموضوعاته الشعرية، ولربما تكون النبذة يسيرة إذ بالكاد إستطعنا أن نقف على أبرز محطات حياته وشعره وذلك لندرة المصادر التي ذكرته، ثم نقفُ على ما ورد من شعره بالجمع والتحليل مع إظهار الأنغام الموسيقية لمعرفة مدى مناسبتها بتلك الموضوعات.

وقف الباحثان على قصائد المصيصي بالشرح والتحليل مبينين الغريب فيها، مع إبراز الجوانب الابداعية، ولا ننس الموسيقى الداخلية الخفية التي تتبع من حسن إختيار الألفاظ وتنسيقها وترابط المعاني وجمال التصوير.

Abstract

The research aims to collect the rest of the poetry of the poet al-Musaysi and document the most important stages he went through and reveal the most important topics of his poems، and the research goes on the two approaches: description and analysis، as the researchers describe a brief about the worship state and its most important flags and the tasks of events، and the most important stations and topics of the poet Poetics، and perhaps the synopsis is easy، as we were hardly able to stand on the most prominent stations of his life and poetry due to the scarcity of the sources that I mentioned، then we stand on what was mentioned of his poetry by collecting and analyzing while showing the musical melodies to know the extent of their relevance to those topics.

The two researchers stopped on Al-Musaysi's poems with explanation and analysis، showing the strangeness in them، highlighting the creative aspects، and not forgetting the hidden internal music that stems from the good selection of words، their coordination، the interdependence of meanings، and the beauty of photography.

توطئة

إن الأدب الأندلسي زاخرٌ بالشعر الجميل الذي لا ينفك أن يكون عطاؤه مستمراً غير منقطع وفيضه من معينٍ لا ينضب، وستكون دراستنا بأن ننهل من فيض هذا المعين نبدأها بمقدمة وتمهيد موجزين عن تأريخ الشاعر وحياته، ننتقل بعدها لنقف عند حياته وقصائده بالشرح والتحليل مبينين أهم ما فيها من تصوير وخيالات وألفاظ وموسيقى وجوانب ابداعية

ابن المصيصي شاعر اندلسي عاصر الصراع السياسي في عصر الطوائف، فتنقل بين المدن الأندلسية وعاش في زمن المعتمد بن عباد وولده المأمون في أشبيلية، ففي ظل الصراعات السياسية والتحزبات تكونت مجاميع شعرية أعطت ولاءها لهم فمع كل طائفة نجد مجموعة شعراء تغني لهم وكان شاعرنا ممن أعطى ولاءه لبني أمية، يتغنى بحبهم ويصف أخلاقهم، ويقتدي بآثارهم، ويمدحهم سيما المعتمد الأمير، وهذا ما سنقف عليه في هذه الدراسة.

الدولة العبادية في أشبيلية (٤١٤ - ٤٨٤ هـ)

بعد زوال دولة الأمويين في الأندلس ظهرت الصراعات السياسية والحزبية على المدن وإستقلت كل إمارة بطائفتها ومن بين هذه الامارات إشبيلية التي كانت في طاعة الفاطميين، ونعني: علي بن حمود، والقاسم بن حمود، ويحيى بن علي بن حمود[١] أيام كان الأمر دائراً بينهم فلما زحف يحيى بن علي بالبربر إلى قرطبة، وهرب القاسم بن حمود منها وقصد إشبيلية، وقد كان ابناه محمد والحسن مقيمين بها، اجتمع أمر أهل إشبيلية واتفق رأيهم على إخراج محمد والحسن عنها قبل وصول القاسم أبيهما؛ فأخرجوهما، وجاء القاسم فمنعوه دخول البلد أيضًا، واتفقوا على تقديم رجل منهم يرجع إليه أمرهم وتجتمع به كلمتهم؛ فتوارد اختيارهم بعد مَخْض الرأي وتنقيح التدبير، على القاضي أبي القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي؛ لما كانوا يعلمونه من حصافة عقله، وسعة صدره، وعلو همته، وحسن تدبيره؛ فعرضوا عليه ما رأوه من ذلك، فتهيب الاستبداد، وخاف عاقبة الانفراد أولًا، وأبى ذلك إلا على أن يختاروا له من أنفسهم رجالًا سماهم؛ لكي يكونوا له أعوانًا ووزراء وشركاء، ولا يقطع أمرًا دونهم، ولا يحدث حدثًا إلا بمشورتهم، وممن شاورهم: الوزير أبو بكر محمد بن الحسن الزُّبَيْدي[٢] وآخرين ففعلوا ذلك وأجابوه إلى ما أراد [٣]. لقد كانت دولة بني عباد بالأندلس من أبهج الدول في الكرم والفضل والأدب، إزدهر فيها العلم والعمران والأدب ومن أبرز علمائها، مُحَمَّد بْن عَبْد الْملك بْن سُلَيْمَان من أَهْل إشبيلية وَصَاحب الشرطة يكنى أَبَا بَكْر وَيعرف بِابْن

(١) أولاد حمود بن أبي الْعَيْش مَيْمُون بن أَحْمد بن عَليّ بن عبد الله بن عمر بن إِدْرِيس بن إِدْرِيس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عَليّ بن أبي طَالب الفاطمي العلوي القرشي ، وإليه تُنسب الدولة الحمودية ، ينظر : الحلة السيراء: ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (المتوفى: ٦٥٨هـ) ،المحقق: الدكتور حسين مؤنس ، دار المعارف – القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٩٨٥م :٢٧-٢٨.

(٢) هو أبو بكر، محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي: عالم باللغة والأدب، شاعر. توفي بإشبيلية سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م : الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار ، مايو ٢٠٠٢: ٦/ ٨٢.

(٣) المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين ،عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين (المتوفى: ٦٤٧هـ) ، المحقق: الدكتور صلاح الدين الهواري ،المكتبة العصرية، صيدا-بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م:٧٢ .

الْقُوطِيَّة، وَأَبُو بَكْر اللّغَوِيّ وهُوَ عَم أَبِيه [1]. قال أبو بكر محمد بن عيسى المعروف ب ابن اللبانة رحمه الله تعالى: إن الدولة العبادية بالأندلس أشبه شيء بالدولة العباسية ببغداد، سعة مكارم، وجمع فضائل، بها وسعة ملك ووثاق عهد وانتظام عقد، وعدل أئمة واعتدال أمة، كان أربابها يتنافسون في المكارم ويتغايرون على الشرف المتقادم. يقول:

مما يزهدنـــي في أرض أندلـس أسماء معتضد فيهـــا ومعتمـــد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صورة الأسد[2]

أبو القاسم ابن عَبَّاد (٤٣٣ هـ - ١٠٤١ م)

محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد، من بني عطاف بن نعيم اللخمي، من نسل ملك الحيرة النعمان بن المنذر، كنيته أبو القاسم، ويقال له القاضي ابن عباد: مؤسس الدولة العبادية في إشبيلية، بالأندلس، أصله من العريش (بين مصر والشام) وأول من دخل الأندلس من أسلافه نعيم وعطاف، وكان أبو القاسم في بدء أمره قاضيا بإشبيليّة، أيام استيلاء (القاسم بن حمود) عليها بعد زوال دولة الأمويين، ثم استقل بها، وتلقب بالظافر، وتملك قرطبة وغيرها، وكان عاقلا مهيبا كريم اليد، كان له اطلاع على الأدب، يشارك الشعراء والبلغاء في صنعة الشعر وحوك الرسائل، ويلقب بالقاضي ذي الوزارتين، وهو وبنوه وذووه رياض آداب وعلوم[3]. وكان له من الولد إسماعيل، وهو الأكبر يُكنى أبا الوليد؛ وعباد، يكنى أبا عمرو؛ فأما إسماعيل فخرج إلى لقاء البربر بعد أن حدث لأبيه أمل في التغلب على ما كان البربر يملكونه من الحصون القريبة من إشبيلية، بعسكر من جند إشبيلية، فالتقى هو وصاحب صنهاجة؛ فأسلمت إسماعيلَ عساكرُه، وكان أول قتيل، وقطع رأسه وسِير به إلى مالقة. وبقي الأمر كذلك، والقاضي أبو القاسم يدبر الأمور أحسن تدبير، وكان صالحًا مصلحًا، إلى أن مات في شهور سنة٤٣٩هـ[4].

---

(١) التكملة لكتاب الصلة ، ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (المتوفى: ٦٥٨هـ) ، المحقق: عبد السلام الهراس ، دار الفكر للطباعة – لبنان ، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م: ٣١٤/١.

(٢) النفح : ٤٥٢/٢.

(٣) الاعلام : ٣٥/٦.

(٤) المعجب في تلخيص أخبار المغرب:٧٣.

ولاية المعتضد بالله العبادي :

ثم ولي ما كان يليه بعده من أمور إشبيلية وأعمالها، ابنه أبو عمرو عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد، فجرى على سَنن أبيه في إيثار الإصلاح وحسن التدبير وبسط العدل، مدة يسيرة، ثم بدا له أن يستبد بالأمور وحده؛ وكان شهماً صارماً حديد القلب شجاع النفس بعيد الهمة ذا دهاء، وواتته مع هذا المقادير؛ فلم يزل يعمل في قطع هؤلاء الوزراء واحداً واحداً، فمنهم من قتله صبراً، ومنهم من نفاه عن البلاد، ومنهم من أماته خمولًا وفقراً، إلى أن تم له ما أراده من الاستبداد بالأمر، وتلقب بـ (المعتضد بالله). وقيل: إنه ادعى أنه وقع إليه هشام المؤيد بالله، ابن الحكم المستنصر بالله؛ وكان الذي حمله على تدبير هذه الحيلة ما رآه من اضطراب أهل إشبيلية، وخاف قيام العامة عليه؛ لأنهم سمعوا بظهور من ظهر من أمراء بني أمية بقرطبة، كالمستظهر، والمستكفي، والمعتد؛ فاستقبحوا بقاءهم بغير خليفة، وبلغه أنهم يطلبون من أولاد بني أمية من يقيمونه؛ فادعى ما ادعاه من ذلك، وذكر أن هشاماً عنده بقصره، وشهد له خواص من حشمه، وأنه في صورة الحاجب له المنفذ لأموره؛ وأمر بالدعاء له على المنابر، فاستمر ذلك من أمره سنين، إلى أن أظهر موته ونعاه إلى رعيته في سنة (٤٥٥هـ) واستظهر بعهدٍ عَهِدَه له هشام المذكور فيما زعم، وأنه الأمير بعده على جميع جزيرة الأندلس. توفي المعتضد بالله في شهر رجب من سنة (٤٦٤هـ) واختُلف في سبب وفاته، فقيل: إن ملك الروم سمه في ثياب أرسل بها إليه، وقيل: إنه مات حتف أنفه، فالله أعلم[١].

ولاية أبي القاسم المعتمد بن عباد المعتمد على الله

ثم قام بالأمر من بعده، ابنه أبو القاسم محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد؛ وزاد إلى المعتمد على الله: الظافر بحول الله، وكان المعتمد هذا يشبه بهارون الواثق بالله من ملوك بني العباس، ذكاء نفس وغزارة أدب [٢] وكَانَ الْمُعْتَمد من الْمُلُوك الْفُضَلَاء والشجعان الْعُقَلَاء والأجواد الأسخياء المأمونين عفيف السَّيْف والذيل مُخَالفا لِأَبِيهِ فِي الْقَهْر والسفك وَالْأَخْذ بِأَدْنَى سعَايَة رد جمَاعَة ممَّن نفى أَبوهُ وسكّن وَمَا نفّر وَأحسن السِّيرَة وَملك فَأَسْجِحْ إِلَّا أَنه كَانَ مُولَعا بِالْخمرِ منغمساً فِي اللَّذَّات عاكفاً على البطالة مخلداً إِلَى الرَّاحَة فَكَانَ ذَلِك سَبَب عطبه وأصل هَلَاكه [٣].

شعره كأنه الحُلل المنشرة، واجتمع له من الشعراء وأهل الأدب ما لم يجتمع لملك قبله من ملوك الأندلس، وكان مقتصراً من العلوم على علم الأدب وما يتعلق به وينضم إليه، وكان فيه

(١) المعجب:٧٤.

(٢) المصدر نفسه: ٧٤.

(٣) الحلة السيراء:٥٣ .

مع هذا من الفضائل الذاتية ما لا يحصى، كالشجاعة والسخاء والحياء والنزاهة، إلى ما يناسب هذه الأخلاق الشريفة، وفي الجملة فلا أعلم خصلة تحمد في رجل إلا وقد وهبه الله منها أوفر قسم، وضرب له فيها بأوفى سهم، وإذا عُدَّت حسنات الأندلس من لدن فتحها إلى هذا الوقت؛ فالمعتمد هذا أحدها، بل أكبرها، وَمِمَّا يُؤثر من فضائله ويعد فِي زهر مناقبه استعانته على الرّوم بِملك الْمغرب [1]. ولي أمر إشبيلية بعد أبيه، وله سبع وثلاثون سنة، واتفقت له المحنة الكبرى بخلعه وإخراجه عن ملكه في شهر رجب الكائن في سنة (٤٨٤هـ)؛ فكانت مدة ولايته إلى أن خُلع وأُسر عشرين سنة؛ كانت له في أضعافها مآثر أعيا على غيره جمعها في مائة سنة أو أكثر منها، وكانت له (رحمه الله) همة في تخليد الثناء وإبقاء الحمد.

نهاية الدولة العبادية وسقوط أشبيلية:

في سنة أربع وثمانين وأربعمائة أتى يوسف بن تاشفين إلى سبتة ودخل العساكر إلى الأندلس فقصدوا مدينة إشبيلية، فحاصروا المعتمد وضيقوا عليه. فقاتل قتالا شديدا، وظهر من شجاعته وشدّة بأسه وحسن دفاعه عن بلده ما لم يشاهد من غيره فسمع الفرنج بقصد عساكر المرابطين بلاد الأندلس، فخافوا أن يملكوها ثم يقصدوا بلادهم، فجمعوا وأكثروا وساروا لمساعدة المعتمد وإغاثته على المرابطين، فلما سمع بمسيرهم فارق إشبيلية وتوجّه إلى لقاء الفرنج، وقابلهم وهزمهم، ورجع إلى إشبيلية، ودوام الحصار والقتال إلى العشرين من شهر رجب [2]. وقد انتهت إلينا في ذلك رواية شاهد عيان، هو أبو بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة، فهو يصف لنا في كتابه " نظم السلوك في مواعظ الملوك في أخبار الدولة العبادية "، مناظر سقوط إشبيلية حسبما شهدها بنفسه في قوله: " إلى أن كان يوم الأحد الحادي والعشرون من رجب، فعظم الخطب في الأمر الواقع، واتسع الخرق على الراقع، ودخل البلد من جهة واديه، وأصيب حاضره بعادية باديه، بعد أن ظهر من دفاع المعتمد وبأسه، وترامية على الموت بنفسه، ما لا مزيد عليه، ولا انتهى خلق إليه، فشنت الغارة في البلد، ولم يبق فيها على سبد لأحد ولا لبد، ورأيت الناس سكارى وما هم بسكارى " [3].

ويصف لنا الفتح بن خاقان مؤرخ الطوائف، ومعاصرهم تقريباً، منظر الصراع الأخير بين المعتمد ومهاجميه في عبارته المسجعة فيما يلي: " ولما انتشر الداخلون في البلد، وأوهنوا القوى والجلد، خرج المعتمد والموت يتسعر في ألحاظه، ويتصور من ألفاظه، وحسامه يعد

---

(١) الحلة السيراء:٥٣ .

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ،أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ) ،دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ : ٤٥٩/٢٣.

(٣) نفح الطيب : ٤٥٣/٢.

بمضائه، ويتوقد عند انتضائه، فلقيهم في رحبة القصر وقد ضاق به فضاؤها، وتضعضعت من رجتهم أعضاؤها، فحمل فيهم حملة صيرتهم فرقاً، وملأتهم فرقاً، وما زال يوالي عليهم الكر المعاد، حتى أوردهم النهر، وما بهم من جواد، وأودعهم حشاه كأنهم له فؤاد، ثم انصرف وقد أيقن بانتهاء حاله وذهاب ملكه وارتحاله، وعاد إلى قصره واستمسك يومه وليلته، مانعاً لخوذته، دافعاً للذل عن عزته [١]. وأخيراً يقول لنا ابن الخطيب: " وكان دخول إشبيلية على المعتمد دخول القهر والغلبة يوم الأحد لعشر بقين من رجب. وشملت الغارة، واقتحمت الدور، وخرج ابن عباد وابنه مالك للدفاع، فقتل مالك الملقب بفخر الدولة، وأرهقت ابن عباد الخيل، فدخل القصر ملقياً بيده " [٢]. وأسر المعتمد ومعه أولاده، بعد أن استأصلوا جميع أموالهم، وقيل إن المعتمد سلّم البلد بأمان، وكتب نسخة الأمان والعهد، واستحلفهم على نفسه وأهله وماله وعبيده وجميع ما يتعلق به، فلما سلّم إليهم إشبيلية لم يفوا له، وسيّر المعتمد إلى مدينة أغمات، فحبسوا بها، وفعل بهم أمير المسلمين أفعالا لم يفعلها أحد قبله، وذلك أنه سجنهم ولم يجر عليهم ما يقوم بهم، حتى كان بنات المعتمد يغزلن للناس بأجرة ينفقونها على أنفسهم، فأبان أمير المسلمين في ذلك عن لؤم طباع وضيق نفس، وبقي المعتمد في حبسه بأغمات إلى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، فتوفى فيها، وقبره بأغمات[٣].

(١) نفح الطيب: ٢/ ٤٥٤.

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة : محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، لسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) ،دار الكتب العلمية، بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ : ٢/ ٨٢.

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب : ٤٥٩/٢٣.

المبحث الاول

محطات الشاعر أبو الوليد حسان بن المصيصي

مدخل: الوزير الكاتب أبو الوليد حسان بن المصيصي، من شعراء بني عباد، وزر للمعتمد وولده المأمون، وكان كاتب سرهم آنذاك، بقي تاريخ ولادته ووفاته غير معلوم، شحَّت علينا المصادر بذكره، لتكتفي بالنزر اليسير، نتلقف ما وجدناه هنا وهناك، لنعلم أنه من شلب، يعود بالنسب إلى المصيصة، وحتى نتعرف عليه أكثر فلا بُدَّ من أن نقف على هذه المدن وأهميتها.

المَصِيصَةُ: من الحواضر الشامية العامرة التي ذكرتها كتب التأريخ والبلدان إذ كانت مدينة خصبة عامرة[١] تقع على الشاطئ الغربي لنهر جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس، وكانت من مشهور ثغور الإسلام قد رابط بها الصالحون قديما، وبها بساتين كثيرة يسقيها جيحان، وكانت ذات سور وخمسة أبواب، وهي مسماة فيما زعم أهل السِّير باسم الذي عمرها وهو مصيصة بن الروم بن اليمن بن سام بن نوح، عليه السّلام[٢].

يزعم ابن يعقوب في كتابه البلدان أن المنصور الخليفة العباسي هو من بناها إذ يقول: ومدينة المصيصة بناها أبو جعفر المنصور في خلافته، كانت قبل ذلك مسلحة، وبنى المأمون كفربيا، فصار نهر جيحان بينهما، وعلى النهر جسر قديم عظيم معقود بالحجارة من ثلاث طاقات على شرف من الأرض[٣] لذلك كانت تسمى بغداد الصغيرة لأنها كانت على جانبي النهر، وكان بها من أهلها فتيان فرسان ظرفاء شجعان [٤].فكانت بلد علم وأدب ينتسب إليها العديد من العلماء فيَنسب السمعاني في كتابه النسب: أبو القاسم علي بن محمد بن علي بن أحمد بن أبي العلاء السّلمي المصيصي الفقيه الشافعي، وأبو القاسم بن بشران والقاضي أبو الطيب الطبري وغيرهم من علوم الفقه والحديث[٥]. قال المهلبي: ومن

---

(١) المسالك والممالك ،أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي (المتوفى: ٣٤٦هـ) ،الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة: ٤٧.

(٢) معجم البلدان ،شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) ، دار صادر، بيروت ،الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م: ١٤٤/١٤٥.

(٣) البلدان ،أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (المتوفى: بعد ٢٩٢هـ) ،دار الكتب العلمية، بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ: ٢٠٤/٢٠٥.

(٤) المسالك والممالك ،الحسن بن أحمد المهلبي العزيزي (المتوفى: ٣٨٠هـ)،جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف:١٠٤.

(٥) معجم البلدان : ١٤٤/١٤٥.

خصائص الثغر أنه كانت تعمل ببلد المصيصة الفراء تحمل إلى الآفاق وربما بلغ الفرو منها ثلاثين دينارا [١].

شِلْبُ: بكسر أوله، وسكون ثانيه، وآخره باء موحدة، من أبرز حواضر البرتغال الإسلامية التي ازدهرت فيها الثقافة العربية مدينة مستحسنة مشهورة بالأدباء يقول فيها ابن بسام:" كانت مركزاً للثقافة والأدب "[٢] يذكرها الأدريسي كونها من المدن التي إعتنت في علوم اللغة والادب كيف ومنها " الاعلم الشنتمري، وحفيده القاضي جعفر بن محمد بن الأعلم وكانوا أئمة في النحو، وعبد الله ابن السيد البطليوسي،وحسان ابن المصيصي"[٣] وعددٌ آخر من العلماء، وهي مدينة بغربي الأندلس بينها وبين باجة ثلاثة أيام، وهي غربي قرطبة، وهي قاعدة ولاية أشكونية، وبينها وبين قرطبة عشرة أيام للفارس المجدّ، بلغني أنّه ليس بالأندلس بعد إشبيلية مثلها، لها بسيط يتسع وبطائح تنفسح، وبها جبل عظيم منيف كثير المسارح والمياه،[٤] يصفها ياقوت ممن سمع منهم: قلّ أن ترى من أهلها من لا يقول شعرا ولا يعاني الأدب، ولو مررت بالفلّاح خلف فدانه وسألته عن الشعر قرض من ساعته ما اقترحت عليه وأيّ معنى طلبت منه[٥] وهذه من مناقب وعجائب البلدان أن ترى من أهل شلب من لا يقول شعراً ولا يتعانى الأدب، ولو مررت بالحراث خلف فدانه وسألته الشعر لقرض في ساعته أي معنى اقترحت عليه، وأي معنى طلبت منه صحيحاً. ومدينة شلب حسنة في بسيط من الأرض وعليها سور حصين ولها غلات وجنات وشرب أهلها من واديها الجاري بجنوبها وعليه أرحاء البلد والبحر منها غربا على ثلاثة أميال ولها مرسى في الوادي وبها الإنشاء والعود بجبالها كثير يحمل منها إلى كل الجهات والمدينة في ذاتها حسنة الهيئة بديعة المباني مرتبة الأسواق وأهلها وسكان قراها عرب من اليمن وغيرها وهم يتكلمون بالكلام العربي الصريح ويقولون بالشعر وهم فصحاء نبلاء خاصتهم وعامتهم وأهل بوادي هذا البلاد في غاية من الكرم لا يجاريهم فيه

---

(١) المسالك والممالك: ١٠٤.

(٢) الذخيرة: ٢٧٥/٣.

(٣) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الادريسي (المتوفى: ٥٦٠هـ) ،عالم الكتب، بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ:٥٤٤/٢.

(٤) آثار البلاد وأخبار العباد: زكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى: ٦٨٢هـ)،دار صادر – بيروت: ٥٤١.

(٥) معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) ،دار صادر، بيروت ،الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م :٣ /٣٥٧.

أحد ومدينة شلب على إقليم الشنشين وهو إقليم به غلات التين الذي يحمل منها إلى أقطار الغرب كلها وهو تين طيب علك لذيذ شهي [١].

لها بسائط فسيحة، وبطائح عريضة؛ ولها جبل عظيم منيف، كثير المسارح والمياه، وأكثر ما ينبت فيه شجر التفاح العجيب، يتضوع منه روائح المود، والعود بجبالها كثير، يحمل منها إلى كل الجهات؛ والمدينة في ذاتها حسنة الهيئة، بديعة البناء، مرتبة الأسواق، وكلامهم بالعربية الصريحة، وهم فصحاء يقولون الشعر، وهم نبلاء خاصتهم وعامتهم؛ وأهل بوادي هذه البلدة في غاية الكرم، لا يجاريهم فيه أحد [٢].

ولادته: ولد في شلب، ومن ذلك الأفق طلعت نجوم الكلام، فأضاءت البلاد، وطبقت الهضاب والوهاد، واحد من رجال العلم والادب والدين، غصنُ دوحةٍ، وخدنُ غدوةٍ كما يصفه إبن بسام ؛ إلا أن حساناً هذا وصاحبيه أبوي بكر: ابن عمار وابن الملح كانوا هنالك رؤساء الأمة، ورؤوس إجماع الأئمة، ونجمت دولة المعتمد ابن عباد بتلك البلاد وهم أغصان دوحةٍ، وأخدان غدوةٍ إلى طلب العلم وروحةٍ، يتدارسون آياته، ويتبارون إلى أبعد غاياته، ولكل دليل في السنا مشتهر، وسبيل إلى العلياء مختصر [٣].

مجده: في كتابه الذخيرة يصف لنا ابن بسام كيف سعى ابن المصيصي إلى تحقيق مجده وذلك بعد أن كانوا ثلاثة ابن عمار، وابن الملح، وابن المصيصي، فأختاروا الدخول الى معترك السياسة ليلمع نجم ابن عمار، فيتبعه الاثنان فيخيب سعي ابن الملح ولم يفلح إلى ما سعى له فإنه نفر نفرة الأنف، وفر فرار الحنق الأسف، فيسير ابن المصيصي على ما سار اليه ابن عمار، ورضي منه بوطء عقبه، ولزوم مركبه، فصدق في كتاباته، وإلتزم في حملاته، فسطع نجمه وعلا مجده، فيقول في ذلك ابن بسام ونهض تصريف المقدار منهم بابن عمار، فشب عن طوفه، وبلغ المبلغ الذي استغنى باشتهاره عن تكراره، وتبعه هذان في الانقطاع إلى الدولة، يحسبان كل بيضاء شحمة، ويتخيلان كل ضوء نجمة، ولله في بريته أقدار يمضيها، ومن مشيئته أسرار يتفرد بها فيخفيها؛ فلم يحصلا إلا على لبس ما خلع، والارتسام حيث أشار ووضع؛ فأما ابن الملح فإنه نفر نفرة الأنف، وفر فرار الحنق الأسف،

---

(١) نزهة المشتاق:٢/٥٤٤.

(٢) صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (المتوفى: ٩٠٠هـ) ،عنى بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها: إ. لافي بروفنصال أستاذ تاريخ المغرب العربي بجامعة الجزائر، ومعهد الدراسات الاسلامية بجامعة باريس، ومدير فخري لمعهد الأبحاث المغربية العليا بالرباط : دار الجيل، بيروت – لبنان ،الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م:١٠٦.

(٣) الذخيرة: ٣/٤٣٣.

مؤثراً للانزواء، على الاستخذاء، مكتفياً بالدون، من التصرف على الهون. وأما حسان هذا فصدق الحملة، ولزم الجملة، مغتبطاً بما خول، جاعلاً نفسه حيث جعل، ورضي من ابن عمار بوطء عقبه، ولزوم مركبه، وابن عمار يرعاه لمكانه، ويخاف انتباه المعتمد لشانه، حتى زاحمه أخيراً بالأديب أبي محمد عبد الجليل، فأقرا له بالفرق، وأخذ منهما جميعاً قصبات السبق، وكان ابن عمار بعد ذلك كله كلما غرَّب ذكر عبد الجليل ألقى بيديه، وشهد له بالفضل عليه، وليست الحظوظ بالأقدار، ولا الأمور على الاختيار[١].

صفاته: من صفاته أنه كان عالي المرتبة والمقام، ممن يُخفض له الجناح، شريف الهمة في دينيه، كأنه جُرفُ نهرٍ يقتحم عتاب الزجر، ملك فرائد الكلام، فكنز من البلاغة ذهبا، وجمع من الفرائد أدبا، حتى علا صوته فشرَّق غرَّب، بهذا يصفه صاحب المسالك فيقول: "شام خُفض له الجناح ونُقض مرود الليل على الصباح، خاض عباب الفجر، وآض يقتحم عتاب الزجر، إلى أن حصل من ذهب الأدب ما كنز، وحصَّن من فرائد الفراقد ما ركز، ودانى الافق، ونادى فأسمع أشتات الطرق" [٢].

صحبته: صاحبَ ابي بكر بن عمار[٣]، وأبي بكر بن الملح[٤]، فكانت بينهم صداقة مداخلة، ورياسة مماثلة، ثم تباينت أحوالهم في الرتب، وتناءت بهم هممهم في المكتسب، فقلنا أن ابن عمار ذاع صيته وتبعه في ذلك ابن الملح وابن المصيصي غير ان ابن الملح تقهقر وابن المصيصي ارتفع مقامه وعلا، فكانت رفقة جميلة بين عظماء الدولة العبادية، جمعهم الشعر والتصنيف والعمل [٥].

---

(١) الذخيرة: ٤٣٤/٣.

(٢) مسالك الابصار في مسالك الامصار ،لإبن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى (٧٤٩هـ) ،أشرف على تحقيقه كامل سلمان الجبوري ، بغداد: ١٧ / ٣١٢.

(٣) ذو الوزارتين أبو بكر بن عمار (٤٢٢ -٤٧٧هـ) كان شاعراً ، وكاتباً، ووزيراً ، للمعتمد بن عباد ، ثم خرج عليه واستقل بحكم مرسية عام"٤٧١ هـ"إلى أن انتزعها منه عبد الرحمن بن رشيق عام(٤٧٤ هـ)الذخيرة: ٥/ ٤٦٧.

(٤) كان أديبًا شاعرًا مجوِّدًا، وله مَدائحُ كثيرةٌ في بني عَبّاد، وتَسَّك آخرَ عمُرِه، وخَطَبَ ببلدِه، وَوَلِيَ الصّلاةَ بجامعِه، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ،أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري (٧٠٣ هـ)،حققه: د. إحسان عباس، د. محمد بن شريفة، د. بشار عواد معروف ،دار الغرب الإسلامي، تونس ،ط١، ٢٠١٢ م:٤٠٢/٤.

(٥) نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض ،شهاب الدين احمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري ،المتوفى (١٠٦٩هـ) ،ضبطه وعلق عليه محمد عبد القادر عطا ،دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٧١م:٢٣٧/٦.

تواضعه: فيما يذكره إبن بسَّام في الذخيرة أنَّ الشاعر المصيصي كان متواضعاً يدلنا على ذلك خدمته لرفيق دربه إبن عمار بعدما أنف عنها إبن الملح يقول: كَانَ "هُوَ وَابْن عمار وَابْن الْملح فِي شلب أترابا متمازجين فَلَمَّا سَمِعت الْحَال بِابْن عمار أنف ابْن الْملح من خدمته ورضيها ابْن المصِّيصِي" [١].

عمله: عمل المصيصي كاتباً مستشاراً في دار الحكم العبادي، وذلك في ولاية المعتمد وولده المأمون الذي تولى مملكة قرطبة (ولما أنشأ المعتمد لابنه الفتح، دولته بقرطبة، أصحبه حساناً هذا كاتب سره، وصاحب أكثر أمره) فقد كان مميزاً لديهم عنوان طبقته فِي النّظم قَوْله من قصيدة ينصح بها الْمُعْتَمد بن عباد في أمور حكمه

البسيط:

من استطال بِغَيْر السَّيْف لم يطلّ وَلم يخب من نجاح سَائل الأسل
أعدتك صحبتك الأرماح شيمتها فانفذ نُفُوذ القنا فِي الْأَمر واعتدل
وَإِن أتتك أُمُور لم تعد لَهَا فانهض برَأْيك بَين الريث والعجل
أقدم على حذر وأرغب على زهد وَاغْلُظْ على رقة وأسفر على خجل
جر الذيول وَلَكِن من جحافله على القتاد وَلَكِن من شبا الأسل
وإني في أفياء ظلك أشتكي شكية موسى إذ تولى إلى الظل [٢]

من عظيم شعره في التصدي للروم: وكانت الروم، مدة ملوك الطوائف قد كلب داؤهم بكل إقليم، فلاطفوهم بالاحتيال، واستنزلوهم بالأموال، فلم يزل دأبهم الإذعان والانقياد، حتى استصفوا الطريف والتلاد، وأتى على الظاهر والباطن النفاد، بما كانوا ضربوا على أنفسهم من الضريبة، إلى ما يتبعها من هديات ونفقات، وشعر العصر، شاهد بالأمر، كقوله يمدح المعتمد ويهون عليه تلك الإتاوات، من جملة أبيات:

ولم تطو دون المسلمين ذخيرةً تهين كرام المنفسات لتكرما
تحيل في فك الأسارى وإنما تعاقد كفاراً لتطلق مسلما
ما كنت ممن شح بالمال والقنا فتكنز ديناراً وتركز لهذما
فترسله للصفر أصفر عسجداً وإن خالقوا أرسلت أبيض مخذما[٣]

قوله في الفتح: في هذا الفتح أنشده حسان قصيدته و فيها وصف إشارة الناس يومئذ من سور المدينة :

ولويسوا بغرقي قد أشاروا لساحلٍ ولكنهم غرقى أشاروا إلى بحر [٤].

---

(١) الذخيرة: ٧٨/١.
(٢) المصدر نفسه :٧٨/١.
(٣) المصدر فسه : ٢٤٣/٣.
(٤) المصدر نفسه : ٢٧٣/٣.

المبحث الثاني

شعر أبو الوليد حسان بن المصيصي

مـدخل : قبل العروج على شعر ابن المصيصي نبين هذا الجدول التوضيحي وفيه عدد القصائد، والمقطوعات ثم النتف، واليتيم، والبحور، والأغراض التي نظم فيها الشاعر، يظهر فيها غرض المدح هو الأعلى من بين الأغراض وهذا يعود للحالة السياسية التي عاشها العباديون في تلك المرحلة وما مرَّ عليهم من صراعات، ونرى أن نظمه كان على البحور الطويلة الثقيلة، الطويلُ، ثم الكاملُ، والبسيط، وهذا بالضبط ما سار عليه الشعراء العرب فعندما نطالع القصيدة القديمة نجد أنَّ النسبة الأكبر من الشعر القديم قد نظم على البحر الطويل يليه الكامل ثم البسيط، وهذا مناسبٌ والغرض الذي كتب فيه الشاعر، فهذه البحور فيها من السعة والنفس الذي يتيح للشاعر أن يعبر عما يُريد وهو في بحبوحة من الفكر والخيال، ثم جاءت بقية البحور ولاشكَ أنَّ لكل بحرٍ مزاياه الخاصة إذ يعزف الشاعر انغام تجربته الشعرية المصورة للنسيج اللغوي في موجات صوتية هادئة، أو عالية تبعا لتلون انفعالاته الخاصة بظرفها الذي يعتري الشاعر ساعة نظم ابداع عمله الشعري، ولقد نأى الشاعر عن البحور المهملة ك(المقتضب، والمحدث، والمضارع، وغيرها) من البحور التي لم يكثر استعمالها ثم نجد قلة ما تمكنا من الوقوف عليه من أشعار إبن المصيصي، وهذا ما جادت به المصادر، وكما يأتي يظهر التقسيم في الجدول أدناه:

الاسم	البحر	الغرض	العدد	مجموع الابيات
القصيدة	المتقارب /الطويل /البسيط /الكامل	المدح/ النصح/ المداعبة/التحريض/ ذكر الشباب/	١٠ قصائد	١٣٢
المقطوعات	الكامل /المتقارب /البسيط /الوافر/ الرجز / الطويل	المدح/ الشكوى	١٠ مقطوعات	٤٧
النتف	الكامل	المدح	١	بيتان
اليتيم	البسيط / الطويل	الحكمة	٤	٤

وبعد هذا العرض التوضيحي نعرج على جدول آخر وهو توضيح القافية متمثلةً بحرف الروي:

التسلسل	حرف الروي	عدد القصائد والمقطوعات والنتف	النسبة المئوية
١	الهمزة	١	%٢
٢	الالف	١	%٤
٣	الحاء	٤	%٢٠
٤	الدال	٣	%٥
٥	الراء	٤	%١٧
٦	اللام	٥	%٢٦
٧	السين	١	%١
٨	الفاء	١	%٤
٩	القاف	١	%٤
١٠	الميم	٢	%١٧

وعند الحديث عن حروف الروي: (الراء، واللام، والميم، والحاء) نجد أنها من حروف الذلاقة عدا الحاء، والذي يعدُّ من حروف الجوف كما مخرج الهمزة وهو صوت يدل على الراحة والشعور الجميل، والبقية من حروف الذلاقة ومن خصائصها قدرتها على الانطلاق من دون تعثر في تلفظها، ولمرونتها وسهولة النطق بها " كثرة في أبنية الكلام [١]، ومما يسوغ كثرة استعمالها أنها من الأصوات المجهورة[٢] "إذ لولا ذلك لفقدت اللغة اهم عنصر فيها وهو تنغيمها وموسيقيتها ورنينها الخاص الذي يميز به الكلام من الصمت" [٣] يدلنا ذلك على أن الشاعر إختار قافيته بعناية متمثلة بمكانته وقربه من السلطة الذوَّاقة في الشعر، جامعاً بين النغم الموسيقي ودلالة الحروف وصداها مع الاحساس بالشعر، فقد مثلت أغراضه في الشعر وأوزانه وقوافيه صورة الشاعر العارف بأداته الشعرية.

(١) العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) ، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال: ٥٨/١.

(٢) فقه اللغة العربية :٤٤١.

(٣) المصدر نفسه : ٢٤٤ .

(قافية الحاء) في مدح المعتمد(المتقارب):

نظم الشاعر هذه القصيدة على البحر المتقارب، ومعلوم أنه سُمي كذلك لتقارب حركاته وأجزائه، إذ يتميز بالإيقاع الموسيقي الصاخب(فعولن. فعولن. فعولن. فعولن) والذي يلائم مع الاصوات العالية والجماهيرية والاحتفالات، فهذا الوضوح الموسيقي الذي يميل إلى الإنتظام والاعتدال في النغمات جاء مناسباً للقصائد الحماسية والقومية وقصائد المدح.

بياض أياديك تحكي الصفاح ومثل نفاذك تحذو الرماح

يفتتح الشاعر قصيدته بلمسة بيانية فيكنّي عن عمل الخير ببياض اليد، ثم ينتقل الى الاستعارة المكنية ليشبه اليد بإنسان يحكي، ليواري بين المصافحة والصفح في قوله: الصفاح تحتمل المعنيين، ثم يشبه دقة الاصابة وسرعة الرماح بصفات الممدوح والتي من شأنها أن تحذو حذو المعتمد.

وأنبتت الحرب شوك القتاد وفتحت الورد فيها الجراح

لغة شعرية جميلة يستخدمها الشاعر عندما رمز إلى المآسي التي تتولد عن الحرب فما تنبت الاّ شوكاً، وما توردُ الاّ جروحاً، وفي المقابل نجدها إشارة تفاؤل فسيخرج من لظى الحرب نباتاً ونرسم من الجروح وروداً.

وكم لك في السلم وجه حيي وكم لك في الحرب وجه وقاح[1]

فما غير أصلك عود نضار ولا غير لخمك حـــي لقـــاح

فجودك صرف عداه المزاج وطبعك جد عـــداه المـــزاح

قصيدة مدح كبيرة يستخدم فيها أساليب التوكيد فيقتصر الصفات على المعتمد، ويختصر له معاني الرجولة في السلم والحرب، فأنت الأبُ الحيي في السلم وأنت القائد الجسور في الحرب، وأنت الأصل ومنبت الطيب والنضارة وعداك مستهجنٌ لقاح، وكل صفاتك مطبوعة غير مصنوعة فأنت الكريم دون المزاج وأنت بطبعك عديت المزاح، بديع لطيف في المجانسة بين مزاح ومزاج.

فلو كان خيمك من ماء كرمٍ لما شابه فيك مـــاء قـــراح

---

(١) عَرَبِـيّ قـح أَي مَحْض وقـاح أَيْضـا وَهُـوَ الَّـذِي لـم يـدْخل الْأَمْصَـار وَلـم يخْتَلط بِأَهْلِهَـا، وَقَـالَ قـوم: بـل هُـوَ الصـميم الْخَـالِص: جمهـرة اللغـة ، أبـو بكـر محمـد بـن الحسـن بـن دريـد الأزدي (المتـوفى: ٣٢١هــ) ،المحقـق: رمـزي منيـر بعلبكـي ،دار العلـم للملايـين – بيـروت ،الطبعـة: الأولى، ١٩٨٧م: ١٠١/١" مادة قحح ".

* قصة مثل مشهور : " جنت على نفسها براقش " وهي كلبةٌ جنت على أهل قرية .

ألـــم تر غـــــادر اسطبـــة حوى الخسر صفقته لا الرباح
سيدعى براقش* أصحابـــه فقد دل منـــه عليهـــم نبـــاح
فداسوا على قصد الذابـــلات تبكي دمـــاءً عليهـــا الصفـــاح
وغنى الحمام برقص الرؤوس ولذ اغتباق وطـــاب اصطبـــاح
أيخفى علاك على ذي جفون ويطمع يبـــدو إليـــه الصبـــاح
ولما زجرت بذكـــرك شعـــري تبيـــن ينثـــال فيهـــا المـــراح
ولولا أياديـــك خابـــت يـــدي ولم يور من زند فكري اقتداح
برقة معنـــاه يســـري كلامـــي إذا الخصر رق يجول الوشاح
وجدت معاليك أصلاً لشعـــري وهل نظم الدر لولا النصـــاح
لك الفضل أن طاب شكري ونشري بطيب الرياض تفوح الريـــاح[1]

بهذه النغمة يكمل الشاعر قصيدته وكأنها سمفونية يخلد فيها الممدوح فمن وزن المتقارب نشعر بالروح النابضة للشاعر والإحساس الجياش وكأنه يعمل موازنة بين المعتمد وخصومه، فماؤه ماءُ كرم، وماء خصومه قراح، يجر أذيال الهزيمة ويلقي اللوم على براقش، بهذه الإنسيابية ورسم الصور البيانية تسير القصيدة حتى يختمها بالشكر والعرفان.

وهذه القصيدة فيها من التحريض الحسن(الكامل):

غنى الحمام ولو رآني ناحا وأعارني نحو الحبيب جناحا
ونعم كلانا فاقد محبوبه قلق، ولكني كتمت وباحا
ثم انثنى ليعلمني ريقاً ومن قدمات سكراً كيف يشرب راحا
فعففت عن رشفي مدام رضابه وجنيت من وجناته التفاحا
وثلاثةٍ خالطتها بثلاثةٍ ما ينتشق منه المتيم فاحا
المسك والشعر الملخلخ والدجى والوجه والكافور والإصباحا
ليس الملاحة في الوجوه تروقني يوماً إذا الأخلاق كن قباحا
سبحان من خص المؤيد بالعلا كملاً وعم بحبه الأرواحا
ملأت بطاعته القلوب أناته أضعاف ما ملأت لهاه الراحا
يا أهل قرطبة اغرفوا من بحره فطالما خضضتم الضحضاحا[2]

---

(١) الذخيرة: ٢/٤٤٤.

(٢) ضَحْضاحٌ فِي لُغَةِ هُذَيْلٍ كَثِيرٌ ، قَالَ الأَصمعي: غَنَمٌ ضَحْضَاحٌ وإِبلٌ ضَحْضاحٌ كَثِيرَةٌ؛ وَقَالَ الأَصمعي: هِيَ الْمُنْتَشِرَةُ عَلَى وَجْهِ الأَرض، لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ،دار صادر ، بيروت الطبعة الثالثة : ١٤١٤ هـ : ٢/٥٢٥، مادة:" ضحح ".

هل لي إلى الشعراء من ذنبٍ سوى سبقي إلى عليائك المداحا
ومنابذ ناءٍ حذرت أتاته ما غرني لما أتى وانزاحا
لا تأمنن مكر العدو لبعده إن امرأ القيس اشتكى الطماحا[١]

وله فيه أيضاً من قصيدة يحرضه ويقدمه الى الموت (الكامل):

ليس العلا إلا على كرمٍ أيقوم خط ما له سطح
من لخم أصلك يا مملك أم في الخط نبتك أيها الرمح
كأس المسرة قد سكرت بها والحد يلزمني متى أصحو
شد في الوغى لك منزلاً خشناً لا يهلك الديباج والصرح
ودع الرياض لمن يلذ بها ما إن لغير مكارم نفح
أذكى من الآس النضير قناً وأنم من ورد الربى جرح
إن النصاح من الورى خلق حتى الكواكب بينها النطح[٢]

(قافية الراء) في مدح الوزير أبي العلاء إبن زهر[٣] (الطويل):

ضع الرحل في حمص بأيمن طائر ووال اصطناع الخير فيها وظاهر
فما هو إلا السرو[٤] بين موارد تصاحبه طول المدى ومصادر
لعمر العلا لولا أبوها وذكره لما شاقني برق ببرقة صادر
ولا بت والظلماء إثمد مقلتي يؤرقها بيض النجوم الزواهر
وهبت فؤادي للبشير بأوبه سليماً ولم أنجل عليه بناظري
وأصغر بموهوب وإن جل قدره يقضي به الأحرار حق الأكابر
وإني وإعظامي لسؤدده الذي يعظمه أهل النهى والبصائر

---

(١) وخبر الطماح على ما ذكر الرواة: رجل من بني أسد كان امرؤ القيس قتل أخاه، فلما توجه إلى أرض الروم ،ووصل إلى قيصر وأكرمه، ووجه معه جيشاً فيه أبناء الملوك، فلما فصل أتى الطماح فوشى به إلى قيصر، وقال: إنه أعرابي عاهر يشبب بابنتك في شعره، ويشهرها عند العرب، فبعث إليه قيصر بحلة منسوجة بالذهب مسمومة، فسر بذلك ولبسها، فأسرع إليه السم، وسقط جلده، ولذلك سمي ذا القروح : الذخيرة : ٢/٤٤٦-٤٤٧ .

(٢) الذخيرة :٢/٤٤٥

(٣) أبو بكر محمَّد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر، العالم الكبير الوزير الشهير في دولة بني العباد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ،محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (المتوفى: ١٣٦٠هـ) ،علق عليه: عبد المجيد خيالي ،دار الكتب العلمية، لبنان ،الطبعة: الأولى،٢٠٠٣ م: ١/٢٣١.

(٤) السَّروُ سَخاءٌ فِي مُرُوءَةٍ ، اللسان: ١٤/ ٣٧٨." مادة : سرى " .

لألحى الليالي إنهن قعدن بي وألحقن جدي بالجدود العواثر
فلو نهضت بي قدرة لهززت في نهوضي إلى العليا قوادم طائر
وما لي مركوب سوى رجلي التي تقيدها أيدي السحاب المواطر
غمام عداني عن غمام كلاهما ثناني غريقاً في البحور الزواخر[1]

جاءت قصيدته هذه على البحر الطويل وهذا البحر شائع فقد نظم فيه ما يقارب ثلث الشعر العربي [2] ويعود ذلك إلى أنه ينماز بانه ذو " بهاء وقوة "[3] في ذبذباته الموسيقية، وذو امكانات متسعة تتيح للشاعر أن ينظم في شتى الموضوعات التي تحتاج الى طول النفس؛ لأنَّه سخي النغم يضم ثمانية واربعين صوتا، يعطي الشاعر الحرية في التصرف بالتعبير عما يجول في ذهنه بهذا القالب الإيقاعي.

(قافية اللام) : قصيدة جميلة في(النصح والمدح) فيها من التشبيه، والاستعارات، والإخبار، والتكرار، والطباق، والمقابلة، والتوليد، نظمت على (البسيط) بلفظ عذب وإسلوب مميز، تجمع الصور بمكارم الاخلاق وحسن الظن بالخالق:

من استطال بغير السيف لم يطل ولم يخب من نجاح سائل الأسل
أعدتك صحبتك الأرماح شيمتها فانفذ نفوذ القنا في الأمر واعتدل
وإن أتتك أمور لم تعد لها فانهض برأيك بين الريث والعجل
أقدم على عجل وأرغب على زهد وأغلظ على رقة وأسفر على خجل
حاز المؤيد مما قلت أفضله وزاد للفرق بين القول والعمل
ملك تواصله الدنيا ويهجرها سراً ويلبس تقوى الله في الحلل[4]
لا تحمدن زهد من لم يعط رغبته لعلة غض من جفنيه ذو الحول
وكم له سنة ضاء الزمان بها ضوءاً بلا لهب كالشمس في الطفل

---

(١) الذخيرة:٤/٥٩٣.
(٢) موسيقى الشعر: ٥٩.
(٣) منهاج البلغاء : ٢٦٩.
(٤) كلفظ أبي الطيب:
جاد الاميرُ به لي في مواهبه فزانها وكساني الدرع في الحلل
بـه أي بالسـيف ، فزانهـا : زان المواهـب ، مقصـده : هـذا السـيف الـذي لا أكسـب الـذكر الاَّ مـن مضـاربه ، وهـبخ لـي سـيف الأمير فـي جملـة مواهـب فـزان هـذا السـيف، غيـر أنَّ سـيف الدولـة كسـا المتنبـي درعـاً ، وإبـن عبَّـاد كسـاه مـن الله تقـوى ، ودرع التقـوى خيـرٌ وأبقـى ، ورأسُ جملـة مـا كسـاه مـن حلـل، ولحسـان فضـل بزيـادة التشـبيه، ينظـر: ديـوان أبـي الطيـب المتنبـي (٣٥٠هـ)، شـرح وتعليـق ، مصـطفى سـبيتي ، دار الكتـب العلميـة ، بيـرت ، لبنـان ، ١٩٧١: ٨٨.

تعطي الهواء ومتن الأرض غرته نوراً ونوراً عطاء الشمس في الحمل[١]

تنهاه عفته عن أمر بطشته فالمشتري عنده قاضٍ على زحل

وهذا البيت أيضاً من مليح المنظوم، وله اختصاص حسن بأحكام النجوم؛ ومنها:

يطوي على نور إيمان جوانحه فالنفس من كوكب والجسم من رجل

لم يعق يوماً ولا احلولى لمسترطٍ وإنما هو بين الصاب والعسل

جر الذيول ولكن من جحافله على القتاد ولكن من شبا الأسل

وهذا البيت أيضاً مما برز في لفظه ومعناه، وأراده كثير من الشعراء فأعياه، ففيه الاستدراك والتقسيم، ودافع في صدر كل حديث وقديم، سلك فيه مسلك البلغاء من المتأخرين، واحتذى حذو المجيدين منهم والماهرين[٢].

فلم يطأ غير ما تحكي شمائله مع الجزالة من سهلٍ ومن جبل

جلالة أدخلت أملاك أندلس تحت الخناعة والإحجام والفشل

كأن ملكك أسنى من ممالكهم وأن دولتك العليا على الدول

لما دعا الغادر المضعوف قال له أخوه عنك: أخي لا تبك في طلل

صفحت عنه لآمال له سلفت وربما كره التفصيل للجمل

قد يدخل المسلم المخطي الجنان غداً بنيتي أرتجي الغفران لا عملي

وهذا البيت مما خلص فيه يقينه، وحسنت بخالقه ظنونه، وعسى الله أن يلقيه مآلها، فرب مرحومٍ بكلمة قالها.[٣]

(قافية اللام) البسيط: يقول في قصيدة يغلب عليها الجانب الديني يُبين فيها حُسن ظنه بالله ورحمته، فيها صور خلابة، وموسيقى جذَّابة، بفعل القافية، والتقسيم بالموازنة، كتبها للحسن

---

(١) قال ابن بسام:البيت هذا من حسنات شعره، وأبين آيات ذكره، فيه توليد، شهد أنه شاعرمجيد: الذخيرة :٢/ ٤٣٧

(٢) يروي الفهري هذا البيت برواية أخرى :

جرَّ الذُّيول ولكن منْ محافله على التناد ولكن منْ شبا الأَسَلِ

ينظر: كنز الكتاب ومنتخب الآداب (السفر الأول من النسخة الكبرى) ،أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الحسن الفهري المعروف بالبونسي (٦٥١هـ) ،المحقق: حياة قارة ،المجمع الثقافي، أبو ظبي،٢٠٠٤: ٢٨٨/١.

(٣) الذخيرة: ٤٣٨/٢.

بن رشيق[١]، وقد منح من التوفيق لسلوك هذا الطريق:

إذ أتى الله يوم الحشر في ظلل وجيء بالأمم الماضين والرسل
وحاسب الخلق من أحصى بقدرته أنفاسهم وتوفاهم إلى أجل
ولم أجد في كتابي غير سيئةٍ تسوءني وعسى الإسلام يسلم لي
رجوت رحمة ربي وهي واسعة ورحمة الله لي أرجى من العمل
لولا الكتائب لم تنظم مواكبها نظم العقود لكان الدهر ذا عطل
من كل معتقل بالبأس مخترطٍ للعزم، مدرع للحزم مشتمل[٢]
يقودهم من بني قحطان ذو بدعٍ من الندى والمعالي لا من النحل
ينبيك سؤدده عن صيد معشره فليس يزري أخير المجد بالأول
لا تعجبنك عليا لا قديم لها ولا تخل غرة ما ابيض بالكفل
بيض يمانون إن سلوا يمانيةً لم يعرف السيف في الهيجا من الرجل
وكم جلوا بالندى من ليل مفتقرٍ كأنه دمعة في جفن مكتحل
إذ كل نابتةٍ شوك بلا ثمرٍ وكل طائرةٍ شور بلا عسل
طلبت مثلهم في غير حيهم فلم أجد غرر الأفراس في الإبل
ما زال يندى على كفي بنائله حتى مسحت عللا عيني من بلل
من مبلغ يده أني نظمت لها شكراً جعلت قوافيه من القبل[٣]
شكراً ذكرت به من جوده سرفاً كأنه مفرغ في قالب العذل

---

(١) أبو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني؛ أحد الأفاضل البلغاء، له التصانيف المليحة منها: كتاب العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه، وكتاب الأنموذج والرسائل الفائقة والنظم الجيد(ت٤٥٦هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ) ،المحقق: إحسان عباس ،الناشر: دار صادر ، بيروت، عدة طبعات : ٢/ ٨٥.

(٢) البيت من التقسيم المليح في القريض، الذي كثيراً ما يتفق في هذه العروض،ونقصد بها بها الموازنة: تساوي الفاصلتين أي: الكلمتين الأخيرتين من الفقرتين في الوزن دون التقفية ، وهو شبيه بقول أبي تمام:

تدبير معتصمٍ، بالله منتقم في الله مرتغب، لله مرتقب

ينظر: ديوان أبي تمام ، شرح وتعليق ،الاديب شاهين عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ١٩٧١: ٢٠.

(٣) هو كقول ابن عبدون: بلغ سلام فمي يدي ملكٍ ، الذخيرة : ٢/٤٤٠.

لعل عذري في ذا الغزو قد عرفت أسراره بلسان صادقٍ مذل[١]

في لوحة جميلة يرسم الشاعر هنا صورة المنكسر في تقديمه للوحة الاعتذار هذه يقدمها في هذا البيت يعبر الشاعر هنا عن الحالة النفسية وكمية القلق والاضطراب التي يمرُّ بها في إعتذاره، دليلاً منه على من له أهمية في قلب الشاعر.

وما الحروب ومثلي أن يشاهدها وإنما أنا حسان وأنت علي[٢]

الوزن: لم يخرج الشاعر عن الموروث الأدبي القديم فنظم قصيدته على البسيط الذي يأتي نظمه بالمرتبة الثالثة بعد الطويل والكامل، فمثل هذان البحران الجزء الأكبر من القصيدة العربية لما لهما من صفات ساعدت الشاعر، ليحل البسيط ثالثاً من حيث النسبة وما ذلك الاّ لسماتٍ تحلّى بها البحر البسيط باعتباره بحراً طويلاً، أتاح للشاعر إمكانية إيجابية لإيصال معانيٍ معينة، ومنحه نفساً تركيبياً ودلالياً لكي يشحن تفاعيله بتجربة شعرية وشعورية معقدة، تتوزعها أغراض مختلفة : الرثاء، والفخر، والمديح، واحاسيس الحب، والشوق،والعتاب، إن طبيعة هذا البحر "الإيقاعية" تتفق مع الشجن والتذكر والحنين، كما يلاحظ أن هذه الكثرة في

---

(١) مذل: المَذَل: الضجَر والقَلَق، مَذِلَ مَذَلًا فَهُوَ مَذِلَ، والأُنثى مَذِلَة. والمَذِل: الْبَاذِلُ لِمَا عِنْدَهُ مِنْ مَالٍ أَو سِرٍّ، وَكَذَلِكَ إِذا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ضَبْطِ نَفْسِه، ومَذِل بسرِّه ، بِالْكَسْرِ، مَذَلًا ومِذالًا، فَهُوَ مَذِلَ ومَذِيلٌ، ومَذَلَ يَمْذُلُ، كِلَاهُمَا: قَلِقَ بسرِّه فأَفشاه: اللسان : ٦٢١/١١: " مادة : ذلل " .

(٢) قال ابن بسام: وأظن حساناً هذا لم يكن له علم بالسير، ولا تصرف بعلم الخبر، وقد رأيت جماعةً من أهل الأدب ينسبون حسان ابن ثابت رحمه الله إلى الجبن، يحتجون في ذلك بقعوده عن رسول الله، في مغازيه ، وينشدون له في ذلك شعراً أظنهم نحلوه إياه، وهي هذه الأبيات على رواية بعض الرواة:

أيها الفارس المشيح المطير إن قلبي من السلاح يطير

ليس لي قوة على رهج الخي ل إذا ثور الغبار مثير

ولا أمتري أنها منحولة إليه، ومن أدل شيءٍ على ذلك أنه هاجى في الجاهلية والإسلام أكثر من ثمانين شاعراً، لم يصفه أحد بالجبن ولا عيره به، ولحسان أيام مشهورة، ومواطن في الحروب مذكورة، وكان ممن له كنيتان في السلم والحرب، كما كان الأبطال تفعل على عهده، كان يكنى في السلم بأبي الوليد، وفي الحرب بأبي نعامة.

أولع ابن المصيصي بهذا المعنى فأعاده وأبداه، وأعجبه ما اتفق له منه، حتى أخرجه إلى ما كان في مندوحةٍ عنه، فقال من قصيدة يمدح بها المعتمد، وذكر نفسه وابن عمار:

كأن أبا بكر أبو بكر الرضى وحسان حسان وأنت محمد

فأراد أن يعرب فأعجم، وأحب أن يضيء فأظلم، ونبرأ إليه من القوة والحول: : الذخيرة : ٢/ ٤٤١.

الشعر الديني، ولعل مما يساعد على ذلك انبساط الحركات في عروضه وضربه إذا خُبِنا، انبساط الأسباب في أوائل أجزائه السباعية، ونعلل لهذا بطواعية هذا البحر لظاهرة الإنشاد، فهو يعطي التموج والانسيابية، والإيقاع الذي يعطي النفس حالة من حالات السمو والصفاء.

القافية: استعمل الشاعر روياً خفيفاً حانياً الاّ وهو روي اللام الذي يمثل إيقاعاً سلساً سهلاً شبيهاً بأصوات المد، كما أنه من أصوات الذلاقة التي تتماز بالخفة [١]، فيكون مستساغاً غير متعسرٍ في النطق [٢] فتكرر هذا الصوت في القصيدة مما أضفى عليها جانباً من الجمال إرتبط مع الايقاع الخارجي الذي عبَّر عن المشاعر الرقيقة المصحوبة بكلمات النصح والارشاد والتوجيه بإستعماله أفعال الأمر التي خرجت إلى معاني الالتماس جامعاً يقينه بالله مع حسن الظن بالممدوح.

(قافية الالف)(البسيط):

يا من شكا فشكا جسمي بشكواه — الله يكلأني فيه ويرعاه
ويا ضنى جسدي بالله صل جسدي — وخل عنه ولا تلمم بمثواه
عمرو بعمرو ولكن في محتمل — لما تجشمه من برح بلواه
الحمد لله حتى السقن نافسني — فيه فأضحى كما أهواه يهواه
عين الكمال أصابتني ولي كبد — مصدوعة فيه إن لم يدفع الله[٣]

(قافية الفاء) وقال يداعب ابن جهور[٤]:

شكوت إليه بفرط الدنف[٥] — فأنكر من علتي ما عرف
وقال الشهود على المدعي — وأما أنا فعلي الحلف
فجئنا ابن جمهورٍ المرتضى — فقيه الملاح وقاضي الكلف
وكان بصيراً بحكم الملاح — ويعلم من أين أكل الكتف
فأومى إلى الخد أن يجتنى — وأومى إلى الريق أن يرتشف

---

(١) أسرار الحروف ، أحمد زرقة ، دار الحصاد للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٩٣: ٩٣.

(٢) موسيقى الشعر ، د. ابراهيم أنيس ، دار القلم للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان : ٣٤.

(٣) الذخيرة : ٥٩١/٤.

(٤) الوزير أبو الحزم جهور، بن محمد، بن جهور، بن عبيد الله، بن محمد، بن الغمر، ابن يحيى، بن عبد الغافر، بن أبي عبدة، صار إليه تدبير أمر قرطبة بعد خلع هشام بن محمد المعتد بالله، وكان موصوفاً بالفضل، متقدماً في الدهاء والعقل، شاعر كبير كثير القول، أديب وافر الأدب ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ،محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ) ،الدار المصرية للتأليف والنشر – القاهرة ،١٩٦٦ م :٢٢/١، ١/ ١٨٨.

(٥) الدنف : المرض ملازم ، قريب على الموت : اللسان : ٩/ ١٠٧" مادة : دنف".

وقال له جاهداً في انتصافي دعوا يا مخنيث هذا الصلف[١]
كذا تقتلون مشاهيرنا إذا مات هذا فأين الخلف[٢]

(قافية القاف) في مدح المعتمد وقد جاز البحر معه فقال (المتقارب):

يا ابن زهر طأ الثريا عبيراً وحصى البيد لؤلؤاً وعقيقا
وتلق الهواء وهو طليق كمحياك حين تلقى الصديقا
وما ترى الريح كيف هبت رخاء لك بعد الهبوب ريحاً خريقا
وضحى البحر هيبةً لك لما جئته سالكاً عليه طريقا
غمرته من راحتيك بحار صاح من موجها الغريق الغريقا
فرق اللج[٣] منك حتى استطارت منه أحشاؤه فريقاً فريقا
جزه يا ابن الكرام أرضاً ذلولاً أو فقده إن شئت طرفاً عتيقا
وانتض الحزم حيث كنت حساماً واصحب النجح حيث كنت رفيقا
وتفيأ علاك ظلاً ظليلاً وتنشق ذكراك مسكاً فيتقا[٤]

(قافية الميم) في المدح وما يتصل به : طويل

أضاء بك الأفق الذي كان أظلما وقد لحت في الإكليل بدراً متمما
على أي وجهٍ لم يشعشع طلاقةً وفي أي ثغرٍ لم ينور تبسما
وقد صغت من ذاك المحيا وحسنه صباحاً ومن تلك الخلائق أنجما
إذا غبت عن ارضٍ تمثل أهلها عسى وطن يدنو بهم ولعلما
ألا قل لأرباب المخائض أهملوا فظل ابن عباد عليهن أينما
فهل تقتدي الأعلام فيك بحارها لتحظى بعقد السلم منك فتسلما
مع الله يمضو إن مضوا مع غيره ولله أحرى أن يفل ويغنما

---

(١) الرجل قليل الخير ، يُضرب مثلا للرجل الَّذِي يُكثر الْكَلَام والمدح لنَفسِهِ وَلَا خيرَ عِنْده، جمهرة اللغة : ٢/ ٨٩٢.

(٢) وأرى حساناً أراد أن يسلك من هذه السبيل، مسلك ابن معمرٍ جميل، في قصيدته حيث يقول:

وقلت لها: اعتديت بغير جرمٍ وغب الظلم مرتعه وبيل

فجاء بين الشعرين ما بين الشاعرين، وبين القطعتين ما بين الزمانين؛ على أن محاسن حسانٍ كثيرة، وحسناته مشهورة، وإنما ألممت منها بقليل، لزهدي في التطويل: الذخيرة:٢/٤٥٠.

(٣) واللجة: لجة الْبَحْر وَالْجمع لج ولجج، جمهرة اللغة :١/٩١.

(٤) الذخيرة: ٤/٥٩٥.

ولدت مع الإقدام في ساعةٍ معاً ففداك في الهيجاء كونك توأما
ولله عادات لديك جميلة يفيدك أرياً[1] حيث تحسب علقما
ولو جبلي طي رميت بفرقةٍ لجاء أجا سلمى إليك مسلما
لذاك ابن عمار ثنى طائعاً بسعدك حتى لو أمرت لأسلما
ولم يبق روميا بفضلك مشركا وإن أشركوا بالله عيسى بن مريما
تفاءلت باسم الفتح لما لقيته لتفتح أمراً خاله الناس مبهما
تلاقيتما للسعد بدراً وكوكباً أباً لا يبارى في المكارم وابنما
أراه وأرجوه وأنشر فضله فيملأ مني العين والكف والفما[2]

(قافية الراء): في هذه القصيدة يبكي الشاعر شبابه كما بكى من قبله من الشعراء، يُسرُّ بأخبار الشباب، ليصف لنا الحالة بصورة فيها كمية من الحنين إلى أيام الصبا، مشبهاً الشباب بالروض متلون الأزهار، لتمحَ الألوان فيستقر البياض باعداً المها من حوله بعد أن كنَّ يُعجبن به، ليجتمعن به حول الكثيب، مستخدماً قافية الهاء التي تخرج من آخر الحلق وفي ذلك دلالة على أن اللام قد خرج من أعماق روحه، يحنُّ إلى ما فات من أيامه، يقول من الكامل :

روض الشباب تناوبت أزهاره وليّ بنفسه وجاء بهاره
ود المها لو أن أسود لحظه أضحى خضاباً حين شاب عذاره
قد كان يعجبهن خفة حلمه فالآن ساء الغانيات وقاره
ترك الذي اشتمل الكثيب إزارها منه الذي اشتمل العفاف إزاره
إني على هذا لأسمع بالصبا فيسرني ممن صبا أخباره

ومنها في المدح:

هو أعرف الكرماء، إن سميتهم جهلوا، ودل على اسمه إضماره
لا تعذلنه على إهالته اللهى في كيمياء المجد بان نضاره
لا تغترر بالبشر من سطواته فالسيف فيه فرنده وغراره
يأبى لمولاي الهوان وظلمه كأبي عرارٍ[3] إذ أهين عراره

---

(١) الأَرْي: الْعَسَل، وَأَصله عمل النَّحْل، فسُمِّي الْعَسَل أَرياً لذَلِك: جمهرة اللغة: ١٠٧٠/٢.

(٢) الذخيرة: ٤٣٥/٢.

(٣) أبو عرار أعرابي من بني عجل فصيح ويقال انه قريب من أبي مالك في غزارة علم اللغة وكان شاعرا، الفهرست ، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي ، المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨هـ) ،المحقق: إبراهيم رمضان ،دار المعرفة بيروت لبنان الطبعة الثانية : ١٩٩٧ م: ٦٧.

لا يستطيع النكس ينطق باسمه وانظر كما حمل اسمه ديناره
قل للمؤيد إذ تقليه ابنه إن الدجى متشابه أقماره
يحكيك في شأو العلاء وإنما تجري إلى أمد الجواد مهاره
إن تمضه رمحاً فأنت وشيجه أو توره قبساً فأنت عفاره[١]

جاءت قصيدته على البحر الكامل والذي يتميز بالقوة والصلابة وفيه " جزالة وحسن اطراد" [٢] في نغماته الإيقاعية المنسابة بدفق والتي تعبر عن شخصية المنشيء و مواقفه في الحياة التي يمر بها موجها وناصحا، أو باديا لرأي في قضية معينة.

(المقطوعات)

(قافية الهمزة) في مدح الوزير إبن زهر(المتقارب):

متى تجلى ابن زهر نواضري محياً مصوغاً من حياً وحياء
فقد دويت شوقاً إليك جوانحي وفي يد لقياه مسيح شفاء
وأعجب مني كيف أصبحت جار من حياتي بكفيه ومت بدائي[٣]

(قافية الحاء) في مدح الوزير إبن زهر(الكامل):

يا جالياً وجه السعادة واضحا ومقلباً طرف النباهة طامحا
صير مجنك صفحتي قمر الدجى وسنان رايتك السماك الرامحا
الله يعلم أن بين جوانحي قلباً إليك مدى الليالي جانحا
دم للعلاء أبا العلاء مصاحباً واقتد زمانك سامحاً لا مجامحا[٤]

(قافية الدال) الوافر:

مليك إن دعته الحرب يوما لما تعنو لهيبته الأسود
قسا قلبا وسن عليه درعا فباطنه وظاهره حديد
قَسَا قَلْبًا وَشَنَّ عَلَيْهِ دِرْعًا فَبَاطِنُهُ وَظَاهِرُهُ حَدِيْدُ[٥]

---

(١) الذخيرة:٢/٤٥٠.

(٢) منهاج البلغاء : ٢٦٩.

(٣) المصدر نفسه:٤/٥٩٣.

(٤) المصدر نفسه :٤/٥٩٥.

(٥) الأفضليات ،علي بن منجب بن سليمان، أبو القاسم، ابن الصيرفي (ت: ٥٤٢هـ) ، ١٥/١، وهذا الكتاب لم يطبع بعد فأخذنا الابيات كذلك من الدر الفريد وبيت القصيد ،محمد بن أيدمر المستعصمي (٦٣٩ هـ - ٧١٠ هـ)،المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري ،دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ،الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م: ٣١٩/٨.

(قافيـة الـدال): يبين لنا الشاعر حجم الكرم الذي يتصف به المعتمد واصفاً إياه ب(أمير المسلمين) مستخدماً الصورة الحسية عن طريق الاستعارة (الزمان جديد) ليواري (بالعلا– العلى) راسماً صورة العدل التي وسعت البلاد فأخضرت الأرض، مناسباً إياها بصوت الدال القوي الذي جاء مناسباً وقوة الأمير، يقول من المتقارب:

قدمت علينا والزمان جديد وما زلت تبدي في الندى وتعيد
وعيش العلا لولا مراتبك العلى لما اخضر في أفق المكارم عود
فيا ناهضاً والجَد صحبه بحيث كبا للمنخرين حسود
لقيت أمير المسلمين وظله عليك بما تهوى لديه يزيد
فقم بالمعالي واستقل بملكها فأنت بملك العالمين قعيد
ولو حوا بني زخر فإن وجوهكم نجوم بأفلاك العلا وسعود[1]

(قافية الراء): وكتب إلى عمر أبي الوليد ابن عمه مبينا حالة التجافي بينهما، مُتعجباً من قربهم في الوطن بُعدهم في اللقاء، ولا يعزو ذلك إلى بغضٍ بينهما وإنما هو حالة من التراخي، مبيناً كمية الحب والشوق إليه فهو في محجر العين، وأنه في الشوق كما أيوب ليوسف مقتبساً (صبراً جميلاً) فقال (البسيط)

إني لأعجب أن يدنو بنا وطن ولا يقضى من اللقيا لنا وطر
لا غرو أن بعدت دار مصاقبة بنا وجد بنا في الحضرة السفر
فمحجر العين لا يلقاه ناظرها وقد توسع في الدنيا به النظر
صبراً جميلاً وإن أبدى الزمان لنا غير الجميل فإنا معشر صبر
وبيننا فقر يجري المزاح بها كالغنج في أعين مرضى بها حور
نثراً ونظماً من الآداب بينهما سحر البلاغة منظوم ومنثر[2]

(قافية الراء): وله في عمرو المتقدم الذكر من مقطوعةٍ تفوح منها المعاني الجياشة والالفاظ الرقيقة (ورد، سكر، دمع، صبابة، أزهر، حمرة، بدر، عنبر) صورة جميلة في التدلل والدلع والحب، يخاطب عمراً بإسلوب الطلب (النداء) مؤكداً عليه حلاوته، فعليه الحذر من ملاقاة السكر، منكراً عليه بإستفهامه (ما شأن وجهك كأنه بدر) وأحياناً كأنه ورد يفوح عنبرا، كان الشاعر حريصاً على إضمار الحب، غير أنَّ الدمع كانَ كفيلاً بالوشاية، صورة حبٍ إخوانيةٍ صافية (الكامل):

يا عمرو إنك لعبة من سكر فإذا مررت بسكر فتذكر
ما شان وجهك نمشه في صفحة فبذاك يوصف كل بدر أزهر

---

(١) الذخيرة:٤/٥٩٤.

(٢) المصدر نفسه: ٤/٥٩٦

يحمر أحياناً فأحسب أنه ورد ينقط صفحه بالعنبر
أضمرت فيك صبابتي فوشى بها دمع فككت به صحيفة مضمر
من ذا يفرق بيننا وجلالنا متكافئ في المنتمى والعنصر[١]

(قافية السين) يُعلي الشاعر صوته عندما يصدح بصوت السين صفيراً مُخاطباً الوزير أبي محمد بن عبدون[٢] فاعلاه(انت الهزبر) وأدنى أعداؤه (وهم جآذر) ناداه مادحاً قد إستلقف دُر المكارم فقال (الرجز) :

زرني فديتك يا زعيم الناس لترى بدوراً من كبار أناس
أنت الهزبر وهم جآذر جاسمٍ قد خيموا من منزلي بكناس
من كل من أثوابه مزرورة منه بغصن البانة المياس
يا راضعاً در المكارم قف بنا ما في وقوفك ساعةً من باس[٣]

(قافية الميم) وله فيه وقد سقط عن دابته ووثئت رجله (الطويل):

لقد أسرعت فيك العيون وإنما جميل دفاع الله عنك التمائم
وما أنت إلا البدر طارت بسرجه عقاب لها الريح الخريق قوادم
ولا غرو أن طافت برجلك وثأة لها المجد خفاق الجناحين حائم
فقد ترجف الأفلاك في دورانها وتنقض أعلام النجوم العواتم[٤]

وكتب إلى الوزير أبي العلاء بن زهر فخاطبه بإسلوبٍ المؤدب (أبا العلاء) ومدحه فأعلا مقامه، لازمه صفات الشجاعة والعزم والعلم، ففداه وأفرش له جسده مغدى، ومسرى فقال من **(البسيط):**

يا من نضا العزم منه صارماً خذ ما توشح المرعفين السيف والقلما
افرش بمغدى ومسرى حر أوجهنا وبعدها فانتعل أبصارنا أدما
وما بأنفسنا بخل عليك فقد سارت أمامك تعدو البعد والأمما

---

(١) الذخيرة:٤/٥٩٢.

(٢) عبد المجيد بن عبدون، أبو محمد الفهري؛ روى عن أبي عاصم وأبي مروان بن سراج والأعلم الشنتمري، وتوفي٥٢٠هـ ، وكان أديباً شاعراً كاتباً مترسلاً، عالماً بالخبر والأثر ومعاني الحديث، أخذ الناس عنه، وله مصنف في الانتصار لأبي عبيد علي ابن قتيبة، فوات الوفيات ،محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: ٧٦٤هـ) ،المحقق: إحسان عباس ،دار صادر – بيروت الطبعة الأولى: الجزء: ١ – ١٩٧٣ ،الجزء: ٢، ٣، ٤– ١٩٧٤: ٣٨٨.

(٣) الذخيرة :٤/٥٩٢.

(٤) المصدر نفسه: ٤/٥٩٢.

أبا العلاء ابن للعليا تشيد ما أضاع منه بنو التضييع فانهدما

لا زال شملك في ورد وفي صدر على اقتراح المعالي فيك منتظما[1]

(النتف): في لوحة جميلة يصف لنا إبن المصيصي عدل الأمير حين يساوي بين الغاوي والعابد مصوراً لنا هيبته وإجلاله فيمدحه بقوله **(الكامل)**:

ملك يظل ثرانا عنده قبلا فذو الغواية منا مثل عابدنا

نسقى ونسجد إجلالا لهيبته فنحن نشرب خسرا في مساجدنا[2]

(اليتيم) : تميزت الابيات اليتيمة عند الشاعر بالحكمة مستخدماً القياس فيها وهذا يدل على إعمال العقل في قياس الأمور، وازن بموسيقى الطباق فقابل بين الغث والسمين، ورادف بين الشاهد والدليل يقول من**(الطويل)**:

قِسِ النَّاسَ تَعْرِفْ غَثَّهُمْ مِنْ سَمِيْنِهِمْ فَكُلٌّ عَلَيْهِ شَاهِدٌ وَدَلِيْلُ[3]

معتمداً على الخبرة والتجربة في القياس، كمن وضع وحدة قياس الطول للمعرفة، فشبه ذلك بصورة لطيفة، تبعث نغماً راتباً دلنا عليها موسيقى التكرار / نعلاً / بنعلٍ/ فقال من **(البسيط)**:

قِسْ بِالنَّجَارِبِ أَغْفَالَ الأُمُورِ كَمَا تَقِيْسُ نَعْلًا بِنَعْلٍ حِيْنَ تَحْذُوهَا[4]

---

(١) الذخيرة: ٥٩٣/٤.

(٢) الافضليات: ١٥/١.

(٣) وهذا البيت ينسب كذلك لأحمد بن عيسى العلوي وذلك في معرض كتاب أرسله إلى الطبري المفسر وفي ذلك يقول: قَالَ لنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: كتب إلي أحمد بن عيسى العلوي من البلد:

ألا إن إخوان الثقات قليل وهل لي إلى ذاك القليل سبيل

سل الناس تعرف غثهم من سمينهم فكل عليه شاهد ودليل

قَالَ أبو جعفر فأجبته:

يسيء أميري الظن في جهد جاهد فهل لي بحسن الظن منه سبيل

تأمل أميري ما ظننت وقلته فإن جميل الظن منك جميل

يُنظر: تاريخ بغداد ،أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)المحقق: الدكتور بشار عواد معروف ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،الطبعة: الأولى: ٢٠٠٢ م:٥٤٨/٢.

(٤) الدر الفريد : ٣١٩/٨.

فما حذاه الشاعر من أفكار جميلة في الحكمة لم يكن جديداً، لنعلم أنَّه قد أخذه من قول أبي العتاهية(**الكامل**):

قِسْتُ السُّؤَالَ فَكَانَ أَعْظَمَ قِيْمَةً مِنْ كُلِّ عَارِفَةٍ جَرَتْ بِسُؤَالِ[١]

يبدو أنَّ الشاعر قد إعتنى بأبياته اليتيمة فأراد أن يُظهرها صوراً بديعة كما في قوله من (**الطويل**):

وإني في أفياء ظلك أشتكي شكية موسى إذ تولى إلى الظل [٢]

وهذا البيت فيه إقتباس من لفظ القرآن العزيز، وقد أقدمت على مثل هذا جماعة من الشعراء من محدثين وقدماء؛ فمن غال متسور، ومن آخذٍ معتذر؛ قال أبو العلاء المعري قبله:

كنت موسى وافته بنت شعيبٍ غير أن ليس فيكما من فقير[٣]

وأخذه حسان بن المصيصي فقال للمعتمد ابن عباد:

كبنت شعيب إذ زفت لموسى ولكن للثراء هنا مزيد

و هذا الأسلوب في مكابرة الحقائق، وهذا من المذاهب الضالة الغريبة، وفيها من الاجتراء على الخلق والخالق[٤]،غير أنَّ لكل جوادٍ كبوة، فأبتعد هذه المرة عن مقصده بأستعارته البعيدة (**الوافر**):

إذا كانت جفانك من لجين فلا شك الغنى فيها ثريد[٥]

يُعلق عليها إبن بسَّام فنراه ناقداً فذاً، موضوعياً، يسلك محجة المفاضلة والتمسك بالمقاييس الموضوعية، فنجده ينفر من الاستعارات البعيدة لدى شعراء عصره، إذ يقول:" كيف لو سمع الصاحب إستعارات أهل وقتنا البعيدة لدى شعراء عصره" ويقصد شاعرنا إبن المصيصي.

---

(١) ديوان أبي العتاهية ،إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان(٢١٠هـ): دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٦: ٣٢٧.

(٢) الذخيرة :٧٨/١.

(٣) يصفه المقريزي بأنها من أشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام ، تدخل من باب تفضيل حال أحدهم على النبي (صلى الله عليه وسلم) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ،أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ) ،المحقق: محمد عبد الحميد النميسي ،دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م : ١٤/ ٣٨٩.

(٤) الذخيرة: ٧٨/١.

(٥) المصدر نفسه :٨٤٢/٢.

الخاتمـــــة

طوينا صفحة من تأريخ الأدب المُشرق في الأندلس بعد رحلة في أدب الطوائف مع أحد شعراء دولة بني عبَّاد،" حسان بن المصيصي " وقفنا عليه كونه شاعراً مجيداً تغنى بحب الدولة ومدح أمراءها ووزراءها، لابساً ثوب الأقدمين في الدخول إلى القصائد فكانت لغته محكمة تعبر عن إمكانية فذّة في التعبير، وتصويرٍ خلاَّب، وخيالٍ واسع، ومعانٍ متدفقة، لم يكن المصيصي شاعراً عادياً فقد كان وزيراً للدولة وكاتب سرهم، وأميناً مشوراً لديهم، إذ نبعت الالفاظ الرقيقة من ثقافته المتأصلة وبيئته العذبة، غير أنَّه لم يكن بدعاً من الشعراء فقد جارى مَن قبله من الأقدمين يدلنا على ذلك مجاراته للمتنبي وأبي تمام وأبي العتاهية وغيرهم، وذلك يقودنا إلى حبّه للتراث وتعلقه به.

يحدونا الى دراسة هكذا شاعر حب الادب بصورة عامة، والأدب القديم والأندلسي بصورة خاصة، وجمع ما تبقى من أشعار الاقدمين في كتب وبحوث، وفي ذلك إحياء للتراث وإظهاره إلى المجتمع الأدبي ملتزمين بالأمانة العلمية من حيث البحث، والجمع، والتوثيق، والحمد لله وهو خير معين.

ثبت المصادر

- آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت ٦٨٢هـ)،دار صادر – بيروت (د.ت).
- الإحاطة في أخبار غرناطة، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ)،دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م.
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، أيار، مايو ٢٠٠٢.
- الأفضليات، علي بن منجب بن سليمان، أبو القاسم، تاج الرياسة، ابن الصيرفي (المتوفى: ٥٤٢هـ) غير مطبوع.
- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ)،المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٩ م.
- البلدان، أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت: بعد ٢٩٢هـ)،دار الكتب العلمية، بيروت،الطبعة الأولى: ٢٠٠٢م.
- تاريخ بغداد،أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)المحقق: الدكتور بشار عواد معروف،دار الغرب الإسلامي، بيروت،الطبعة الأولى: ٢٠٠٢ م.
- التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت ٦٥٨هـ)، المحقق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان : ١٩٩٥م.
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)،المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت،الطبعة الأولى: ١٩٨٧م.
- الحلة السيراء: ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت٦٥٨هـ)،المحقق: الدكتور حسين مؤنس، دار المعارف – القاهرة، الطبعة الثانية: ١٩٨٥م.
- الدر الفريد وبيت القصيد،محمد بن أيدمر المستعصمي (ت ٧١٠ هـ)،المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،الطبعة: الأولى: ٢٠١٥ م.

- ديوان أبي تمام، شرح وتعليق، الاديب شاهين عطية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان : ١٩٧١.
- ديوان أبي الطيب المتنبي (٣٥٠هـ)، شرح وتعليق، مصطفى سبيتي، دار الكتب العلمية، بيرت، لبنان : ١٩٧١.
- ديوان أبي العتاهية،إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان(ت٢١٠هـ): دار بيروت للطباعة والنشر: ١٩٨٦م.
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة،أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت ٧٠٣ هـ)،حققة وعلق عليه: الدكتور إحسان عباس، الدكتور محمد بن شريفة، الدكتور بشار عواد معروف،دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الأولى: ٢٠١٢ م.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (ت ١٣٦٠هـ)،علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى:٢٠٠٣ م.
- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (ت ٩٠٠هـ)،عنى بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها: إ. لافي بروفنصال أستاذ تاريخ المغرب العربي بجامعة الجزائر، ومعهد الدراسات الاسلامية بجامعة باريس، ومدير فخري لمعهد الأبحاث المغربية العليا بالرباط : دار الجيل، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية:١٩٨٨ م.
- الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي المعروف بابن النديم (ات ٤٣٨هـ)،المحقق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت لبنان الطبعة الثانية : ١٩٩٧م : ٦٧
- فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ات ٧٦٤هـ)،المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت الطبعة الأولى: الجزء: ١ – ١٩٧٣،الجزء: ٢، ٣، ٤– ١٩٧٤.
- كنز الكتاب ومنتخب الآداب (السفر الأول من النسخة الكبرى)،أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الحسن الفهري المعروف بالبونسي (ت٦٥١هـ)،المحقق: حياة قارة، المجمع الثقافي، أبو ظبي:٢٠٠٤.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)،دار صادر، بيروت الطبعة الثالثة : ١٩٩٥م.

- مسالك الابصار في مسالك الامصار،لإبن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ)،أشرف على تحقيقه كامل سلمان الجبوري ، بغداد(د.ت).
- المسالك والممالك،أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي (ت ٣٤٦هـ)،الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة،(د.ت).
- المسالك والممالك،الحسن بن أحمد المهلبي العزيزي (المتوفى: ٣٨٠هـ)،جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف(د.ط)(د.ت).
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين،عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين (المتوفى: ٦٤٧هـ)، المحقق: الدكتور صلاح الدين الهواري،المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠٦م.
- معجم البلدان،شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)،دار صادر، بيروت،الطبعة الثانية: ١٩٩٥ م.
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الادريسي (ت ٥٦٠هـ)،عالم الكتب، بيروت،الطبعة الأولى: ١٩٨٩م.
- نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، شهاب الدين احمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري،(ت١٠٦٩هـ)،ضبطه وعلق عليه محمد عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت : ٧٣٣هـ)،دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ)،المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، عدة طبعات.